الملف

ثامن أئمة المسلمين
الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

الفهرس

- الصلاة على الإمام الرضا عليه السلام
- الإمام الرضا عليه السلام: ملامح عامة
- قبسات من حياته عليه السلام ..... الشيخ محمد جواد مغنية
- إمامة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ..... أسرة النحرير
- ثامن أئمة المسلمين ..... أسرة النحرير
- عبادته عليه السلام ..... أحمد آقائي
- أخلاقه عليه السلام ..... أحمد آقائي
- المشهد الثقافي في عصره ..... غدير سليم
- الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ..... تنسيق: محمد عبد الله
- الرّكب الرضويّ من المدينة إلى مرْو ..... تنسيق: أسرة النحرير
- من ملابسات «ولاية العهد» ..... تقديم: أسرة النحرير
- شهادة الإمام الرضا عليه السلام ..... حسن علي

الصلاة على الإمام الرّضا عليه السلام

للصلاة على المعصومين عليهم السلام صِيَغٌ مختلفة رواها كبار العلماء. من هذه الصِيَغ في الصلاة على الإمام الرضا عليه السلام ما يلي:

* ألّلهمّ صلّ على عليِّ بن موسى إمامِ المسلمين، ووَالِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وضاعف العذابَ على مَن شَرَكَ في دمِه.

* ألّلهمّ صلّ على عليِّ بن موسى الرّضا المُرتضى، عبدِك ووليِّ دينِك القائمِ بعدلِك، والدّاعي إلى دينِك ودينِ آبائه الصّادقين، صلاةً لا يَقوى على إحصائها غيرُك.

* ألّلهمّ صلّ على عليِّ بن موسى الرّضا المُرتضى، الإمامِ التقيّ النقيّ، وحجّتِك على مَن فوقَ الأرضِ ومَن تحتَ الثرى، الصِّدِّيق الشهيد، صلاةً كثيرةً تامّةً زاكيةً متواصلةً متواترةً مُترادفةً، كأفضلِ ما صلّيتَ على أحدٍ من أوليائك.

* ألّلهمّ صلِّ على عليِّ بن موسى الرّضا الذي ارتضيتَه ورضيّتَ به مَن شئتَ من خلقِك، ألّلهمّ وكما جعلتَه حجّةً على خلقِك وقائماً بأمرك وناصراً لدينك وشاهداً على عبادِك، وكما نصحَ لهم في السرِّ والعلانية، ودعا إلى سبيلِك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصلِّ عليه أفضلَ ما صلّيتَ على أحدٍ من أوليائك وخِيَرَتك من خلقِك، إنك جواد كريم.

الإمام الرضا عليه السلام
ملامح عامة

الولادة: وُلد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ثامن أئمّة المسلمين، في الحادي عشر من ذي القعدة عام 148 هـ (أو سنة 153 هـ)، في المدينة المنوّرة.

الاسم والكنية واللقب: اسمه الكريم عليّ، وكنيته المعروفة أبو الحسن، وألقابه المشهورة الرّضا، وغريب الغرباء، ومُعين الضعفاء، وشمس الشموس، وأنيس النفوس.

أبوه وأمّه: أبوه «باب الحوائج إلى الله تعالى» الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام سابع أئمّة المسلمين. وأمّه الجليلة، سيدة كريمة تُدعى «تُكْتَم» و«نجمة» أيضاً. وحينما رزقها الله إبناً مثل عليّ بن موسى عليه السلام، سمّوها «طاهرة»؛ لأنّ صدف وجودها قد احتضن لؤلؤةً كالإمام المعصوم عليه السلام.

زوجته: تزوّج الرضا عليه السلام سيّدة نقيّة الجيب تسمّى «سبيكة»، أنجبت له إبناً سمّاه محمّداً، ولقّبه بالجواد.
وحينما أشخصه المأمون – وفق أغراضه السياسيّة – من «المدينة» إلى «طوس» خلافاً لرغبته، زوّجه ابنته «أمّ حبيبة»؛ ليحقّق هدفه، ولكنّ «أمّ حبيبة» لم تدخل بيت الإمام الرضا عليه السلام قطّ، وظلّت بكراً.

إمامته: تسنّم الإمام عليّ بن موسى عليه السلام مقاليد الإمامة عام 183 هـ، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، بعد شهادة أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ودامت إمامته عشرين عاماً.

الشهادة: كما كان قد أخبر هو بنفسه، لم يرجع الإمام الرضا عليه السلام إلى وطنه قطّ، منذ أن أشخصه المأمون. واستُشهد مظلوماً في «خراسان» بعيداً عن موطنه وأهله عام 203 هـ، وكان في الخامسة والخمسين من عمره، وقد وُوري جسده الطاهر الثرى في «طوس» التي سمّيت في ما بعد باسم «مشهد».

قبسات من حياة الإمام الرضا عليه السلام

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله*

هو الإمام الثامن من الأئمّة الأطهار، ولد بالمدينة سنة 153 من الهجرة، وتُوفّي سنة 202، ودُفن بطوس من أرض خراسان " . . " وكنيته أبو الحسن، وأشهر ألقابه الرضا.

أولاده: قال المفيد والطبرسي وابن شهرآشوب: لم يترك من الولد إلا محمد الجواد.

من مناقبه

ما سُئل عن شئ إلا أجاب عنه، وما كان أحد أعلم منه في زمانه، وكان يستخرج أجوبته من القرآن الكريم، وكان يختمه في كلّ ثلاثة أيام مرّة، ويقول: « **لو أردت ختمتُه بأقلّ من ذلك، ولكني ما مررت بآية قطّ إلا فكّرت فيها، وفي أيّ شيءٍ نزلت** ».

ومن عادته أن لا يقطع على أحدٍ كلامَه، ولا يردّ أحداً عن حاجة، وكان كثير المعروف والصدقة، بخاصة [صدقة] السرّ.

وكان المأمون مولَعاً بالسماع إلى العلماء، وجدالهم ونقاشهم، فكان يجمع له العلماء والفقهاء والمتكلّمين من جميع الأديان، فيسألونه، ويجيب الواحد تلو الآخر، حتى لم يبقَ أحد منهم إلا اعترف له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور، وقد جاء في أكثر من كتاب أن بعض العلماء، وهو محمد بن عيسى اليقطيني، جمع من مسائل الإمام الرضا وأجوبتها 18 ألف مسألة، وفُقد هذا الكتاب مع ألوف الكتب التي خسرتها المكتبة الإسلامية والعربية.

وفي كتب الشيعة الكثير من هذه المسائل، منها: أنْ قال له: يا ابن رسول الله، إن الناس يروون عن جدك أنه قال: خلق الله آدم على صورته، فما رأيك؟

قال الإمام: « **إنهم حذفوا أول الحديث الذي يدلّ على آخره، وهذا هو الحديث كاملاً: مرّ رسول الله برَجلين يتسابّان، ويقول أحدهما للآخر: قبّح الله وجهك ووجهاً يشبهك. فقال النبي للسّابّ: لا تقل هذا، فإنّ الله خلق آدم على صورته، أي على صورة من تشتُمه، وعليه يكون شتمك لخصمك هذا شتماً لآدم** عليه السلام ».

ومنها: أنه سُئل: أين كان الله؟ وكيف كان؟ وعلى أيّ شئ يعتمد؟ فقال: « **إن الله كيَّف الكَيْف فهو بلا كيف، وأيَّن الأيْن فهو بلا أين، وكان اعتماده على قدرته** ».

ومعنى جواب الإمام أن الله خلق الزمان وخلق الأحوال، فلا زمان له ولا حال. غني عن كل شيء فلا يعتمد على شيء غيرَ ذاته بذاته.

وسُئل عن معنى إرادة الله فقال: « **هو فعله لا غير، ذلك أن يقول للشيء: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان، ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيف كذلك ولا كما** ».

ومنها: أنه سأل سائل عن معنى قول الإمام الصادق: « **لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين** ».

فقال الإمام: « **من زعم أن الله يفعل أفعالنا، ثم يعذّبنا عليها، فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حُجَجه – أي الأئمّة – فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مُشرك. أما معنى الأمر بين الأمرين فهو وجود السبيل إلى إتيان ما أمرَ الله به، وترك ما نهى عنه، أي أن الله سبحانه أقدَره على فعل الشر وتَرْكه، كما أقدره على فعل الخير وتركه، وأمَرَه بهذا ونهاه عن ذاك** ».

ومنها: أنه سُئل عن الإمامة، فقال: « **إن الله لم يقبض نبيّه، حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، حيث قال عزّ من قائل:** ﴿ . . مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ . . ﴾ الأنعام:38، **وأنزل في حجّة الوداع:** ﴿ . . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا . . ﴾ المائدة:3.

والإمامة من إكمال الدين وإتمام النعمة. وقد أقام لهم علياً عَلَماً وإماماً. ومن زعم أنّ النبيّ لم يكمل دينه – ببيان الإمام – فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر. إن الإمامة لا يعرف قدرها إلا الله، فهي أجلُّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم. إن الإمامة خلافة الله والرسول، وزمام الدين، ونظام المسلمين، والإمام يحلّل ما أحلّ الله، ويحرّم ما حرّم الله، ويقيم الحدود، ويذبّ عن الدين، والإمام أمين الله في أرضه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، وهو مطهَّر من الذنوب، مبرَّأ من العيوب، لا يدانيه أحد في خلقه، ولا يعادله عالِم، ولا يوجد منه بديل، ولا له مثيل. فأين للناس أن تستطيع اختيار مثل هذا؟! ».

ونكتفي بهذا المقدار من أجوبته، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى « عيون أخبار الرضا » للشيخ الصدوق.

*من كتابه: « الشيعة في الميزان ».

إمامة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

إعداد: أسرة التحرير

من الثوابت المُجمَع عليها بين المسلمين أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أكّد وجود اثني عشر خليفة من بعده، يرتبط بهم بقاء الإسلام واستمراره، وأن من صفاتهم أنّهم «**كلّهم من قريش**»، أو «**تجتمع عليهم الأمّة**»

ومن الواضح أن هذا الثابت العقيديّ يحول بين المتسلّلين إلى الخلافة باسم رسول الله وبين تحقيق أهدافهم. لذلك كان تحريف هذا الثابت في طليعة اهتمام الأمويّين والعباسيّين ليؤول الأمر إلى ما آل إليه من بقاء إجماع الأمة على أصل وجود اثني عشر خليفة لرسول الله يتّصفون بصفات خاصة، مع ادّعاء أنهم غير معروفين، وادّعاء أنه لذلك تعدّدت الآراء في تحديدهم!

ورغم أن هذا التحريف كان هدف كلّ إمبراطوريات الجور التي حكمت باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن حقيقة إمامة الأئمّة الإثني عشر بقيت ناصعة جليّة تتضافر عليها الأدلة الوافرة في مصادر الشيعة والسنّة.

ما تقدّم يُحتّم توضيح أنّ من أبلغ أوجه الإعجاز في إخبارات النبي صلى الله عليه وآله بما يكون من بعده هو الذي يظهر جليّاً لدى تتبّع ما رواه المسلمون عنه ﷺ حول الأئمة الإثني عشر.

وتكفي الإشارة في هذا الموجز إلى التالي:

رغم وفرة النصوص على الأئمّة الإثني عشر بطرق الشيعة والسنّة فإنه لايوجد فيها جميعاً ما يدلّ على أن هؤلاء الأئمّة الذين تحدّث عنهم صلى الله عليه وآله يستلمون الحكم ويديرون دفّته عملياً، كما أنه لا دليل على أنهم لا يستلمون الحكم.

تثبيته صلى الله عليه وآله مبدأ وجود اثني عشر خليفة من بعده، يرتبط بهم بإذن الله تعالى بقاء الدين إلى قيام الساعة، وكلّهم من قريش، وكلّهم تجتمع عليهم الأمة، كما تقدّم. أن آخرهم المهديّ المنتظر. أنهم الخلفاء والأسباط والأئمّة والنقباء والأوصياء والحُجج. نصَّ على أسمائهم بطريقتين: تسميتهم بالتسلسل، وتسميتهم بذكر عدد الأسماء المتشابهة.

تسلسل الأئمة عليهم السلام

من روايات تسميتهم بالتسلسل: عن سهل بن سعد الأنصاري قال: «**سألت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن الأئمة فقالت: كان رسول الله يقول لعليّ عليه السلام: يا عليّ أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيتَ فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه عليّ بن الحسين أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمد أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه عليّ أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه محمد أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه عليّ أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهديّ أَولَى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمّة الحق وألسنةُ الصدق، منصورٌ مَن نصرَهم، مخذولٌ مَن خذلَهم**».

عدد الأئمة عليهم السلام

ومن روايات تسميته لهم صلّى الله عليه وعليهم بالعدد: عن الصحابيّ أنس بن مالك: «قال رسول الله ﷺ: **لما عُرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيّدتُه بعليّ ونصرتُه، ورأيت اثني عشر اسماً مكتوباً بالنور فيهم عليّ بن أبي طالب وسبطي وبعدهما تسعة أسماء؛ علي علي ثلاث مرّات، ومحمد ومحمد مرّتين، وجعفر وموسى والحسن والحُجّة**

يتلألأ من بينهم، فقلت: يا ربّ أسامي من هؤلاء؟ فناداني ربّي جلّ جلاله: هم الأوصياء من ذريّتك، بهم أثيب وأعاقب».

والإمام الرضا عليه السلام هو ثامن هذه المنظومة الإلهيّة المحمدية، وقد تفرّد بالتوفيق الإلهي لتجاوز خطر الواقفة الذين وقفوا على إمامة أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، ليستمر بالإمام الرضا خط الإمامة وخط الإعتقاد بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام. وقد عُرف كلٌّ من الأئمة من بعده بـ«ابن الرضا».

حديث اللوح الأخضر

من أبرز النصوص على إمامة الأئمّة الإثني عشر ما حدّث به الصحابي الظاهرة جابر بن عبد الله الأنصاري ـ الذي يُجمع المسلمون على أنه حمل سلاماً خاصاً من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام الباقر عليه السلام ـ من حديث اللوح الأخضر.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«قال أبي لجابر بن عبد الله: لي إليك حاجة، أُريد أن أخلو بك فيها، فلمّا خلا به في بعض الأيام، قال له: أخبرني عن اللّوح الّذي رأيته في يد أمّي فاطمة عليها السلام. قال جابر: أشهد بالله لقد دخلتُ على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لأهنئها بولدها الحسين عليه السلام، فإذا بيدها لوح أخضر، من زبرجد خضراء، فيه كتابٌ أنور من الشمس، وأطيبُ رائحة من المسك الأذفر، فقلت: ما هذا يا بنت رسول الله؟**

فقالت: هذا لوحٌ أهداه الله عزّ وجلّ إلى أبي، فيه اسم أبي واسم بَعلي واسمُ الأوصياء بعدي من وُلدي، فسألتها أن تدفعه إليّ لأنسخه ففعلتْ. فقال له (الإمام الباقر) فهل لك أن تعارضني بها؟ (أي تجعلني أقابل النصّ الذي عندي على النسخة التي عندك) قال: نعم، فمضى جابر إلى منزله، وأتى بصحيفة من كاغذ (ورق) فقال له (الباقر): أنظر في صحيفتك حتّى أقرأها عليك، فكان في صحيفته مكتوباً: بسم الله الرّحمن الرحيم، هذا كتابٌ من الله العزيز العليم، أنزله الروح الأمين إلى محمّد خاتم النبيّين: يا محمّد، عظم أسمائي، (و) اشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، ولا تَرْجُ سواي، ولا تخشَ غيري، فإنّ من يرجو سواي ويخشَ غيري أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين. يا محمّد، إنّي اصطفيتُك على الأنبياء، وفضّلتُ وصيّك على الأوصياء، وجعلتُ الحسنَ عيبة علمي من بعد انقضاء مدّة أبيه، والحسين خير أولاد الأوّلين والآخرين، فيه تثبتُ الإمامة، ومنه يعقّب عليّ زين العابدين، ومحمّد الباقر لعلمي والداعي إلى سبيلي على منهاج الحقّ، وجعفر الصّادق في القول والعمل، تنشب من بعده فتنة صمّاء، فالويل كلّ الويل للمكذّب بعبدي وخيَرتي من خلقي موسى، وعليّ الرضا يقتله عفريتٌ كافر بالمدينة التي بناها العبد الصالح (ويُدفن) إلى جنب شرّ خلق الله. ومحمّد الهادي إلى سبيلي الذابّ عن حريمي، والقَيِّم في رعيَّته، حَسَنٌ أغرّ يخرج منه ذو الإسمين عليّ والحسن، والخلف محمّد يخرج في آخر الزمان على رأسه غمامة بيضاء تظلّه من الشّمس، يُنادى بلسان فصيح (يسمع) الثقلين والخافقين: هو المهديّ من آل محمّد، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً».

* وقد نقل العلاّمة المجلسي رحمه الله في باب «النصوص على الإمام الرضا عليه صلوات الله عليه» ثماني وأربعين رواية ورد فيها أنّ الإمام الكاظم عليه السلام عرّف ابنه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بأنّه وصيّه ووارثُه من بعده.

عبادة الإمام الرضا عليه السلام

يُمكن أن نُوجز نبذة من المظاهر المعنويّة للإمام الرضا عليه السلام اقتباساً من الأخبار والنصوص التاريخيّة، كما في الفهرس التالي:

– كان ينام في الليل قليلاً، ويقضي أكثره بالعبادة.

– كان يصوم كثيراً من أيام العام، ولا سيّما أوّل كلّ شهر ووسطه وآخره، وكان يقول: «ذلك صوم الدهر».

– كان يسجد سجدات طويلة جداً، بحيث لو سجد لله تعالى بعد صلاة الصبح، لا يرفع رأسه منها حتى تطلع الشمس.

– كان يتلو القرآن كثيراً، وكان أُنسه به بحيث أنّه لا يتكلّم إلا بالقرآن، ويُجيب مَن سأله بالقرآن، ويتمثّل به أيضاً.

– كان حينما يأوي إلى فراشه، يلهج بذكر الله وتلاوة القرآن.

– كان إذا مرّ بآية عند تلاوة القرآن، فيها ذكرُ نار وعذابٍ بكى بكاءً شديداً، وتعوّذ بالله من النار.

– كان يهتمّ بالصلاة في أوّل وقتها، ويُصلّي أوّلاً حين الإفطار في الأيام التي يصومها.

– كان لا يترك النوافل وصلاة الليل خاصّة، حتى في السفر، ولمّا يحين الثُلُث الأخير من الليل، يقوم من فراشه وذِكرُ الله على لسانه، فيستاك ويتوضّأ ويقوم إلى الصلاة، وكان يصلّي صلاة جعفر الطيّار و صلاة اللّيل كلّ ليلة. ويستمرّ على التعقيبات إلى وقت صلاة الصبح، وبعد أدائها. ثمّ يسجد سجدة الشكر عند طلوع الشمس.

– كان يلهج بذكر الله دائماً.

– إنتُدب رجاء بن أبي الضحّاك لإشخاص الإمام من المدينة إلى مرو. وأمرَه الحاكم العباسي أن يرافقه بالليل والنهار طوال الرحلة، فقال في نهاية المطاف: «فوالله ما رأيت رجلاً أتقى لله تعالى منه، ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته منه، ولا أشدّ خوفاً لله عزّ وجلّ منه».

أحمد آقائي، «الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام إمام الرأفة ومنهل المعرفة»، تعريب ناصر النجفي (بتصرّف)

ثامن أئمّة المسلمين

تقديم: أسرة التحرير

مَن مات ولم يعرف إمام زمانه - منهم - فميتتُه جاهليّة. هكذا تحدّث العلماء المسلمون عن أئمّة المسلمين جميعاً، ومنهم الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، رغم التفاوت الشديد في الإلتزام بهذه الإمامة، جرّاء التضليل الإعلامي الذي مارسته أنظمة الجور كغطاء لكلّ أساليب البطش والتنكيل التي يزخرُ بها التاريخ.

ما أورده الحافظ ابن حَجَر الهيثمي في كتابه «الصواعق المحرقة» (ج 2 / ص 597 -594) نموذج صارخ من الحقيقة التي تُلحّ على كلّ محمديٍّ صادق أن يتعرّف على أئمّة المسلمين، وهو يردّد ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي سِلْمٌ لمن سالمتم وحربٌ لمن حاربتم، ووليٌّ لمن واليتم وعدوٌّ لمن عاديتم».

في سياق ترجمته للإمام الحسين عليه السلام والتسعة من بنيه، قال الحافظ ابن حجر حول الإمام الرضا:

عليّ الرّضا وهو أنبهُ أولاده (أولاد الإمام الكاظم) ذِكْراً وأجهلُّم قدراً، ومن ثَمّ أحلّه المأمون محلّ مهجته وأشركه في مملكته وفوّض إليه أمر خلافته، فإنّه كتب بيده كتاباً سنة إحدى ومائتين بأن عليّاً الرّضا وليّ عهده، وأشهدَ عليه جمعاً كثيرين، لكنه تُوفّي قبله فأسِف عليه كثيراً، وأخبر [الإمام الرّضا] قبل موته بأنّه يأكل عنباً ورماناً مسموماً ويموت، وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلا يستطيع، فكان ذلك كلّه كما أخبر به.

ومن مواليه معروف الكرخي، أستاذ السري السقطي، لأنه أسلم على يديه.

قال لرجل: « يا عبد الله، إرْضَ بما يريد، واستعدّ لما لا بدّ منه »، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام. (رواه الحاكم).

وروى الحاكم عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال:

رأيت النبيّ في المنام في المنزل الذي ينزل الحُجّاج ببلدنا، فسلّمت عليه فوجدتُ عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صَيْحاني، فناولني منه ثماني عشرة، فتأولت أن أعيش عِدَّتَها. فلما كان بعد عشرين يوماً قَدِمَ أبو الحسن عليّ الرضا من المدينة، ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه، فمضيتُ نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبيّ جالساً فيه، وبين يديه طَبَقٌ من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فسلّمت عليه فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا عِدَّتُها بعدد ما ناولني النبيّ في النوم! فقلتُ زدني، فقال: « لو زادك رسول الله لزدناك ».

ولّما دخل نيسابور كما في تاريخها، وشقّ سوقها وعليه مِظلّةٌ لا يُرى من ورائها تعرّض له الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يُحصى، فتضرّعا إليه أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثاً عن آبائه، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكفّ المِظلّة وأقرّ عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكانت له ذؤابتان مدليّتان على عاتقه والناسُ بين صارخٍ وباك، ومُتمرِّغٍ في التراب، ومُقَبِّلٍ لحافر بغلته. فصاحت العلماء: معاشرَ الناس، أنصِتوا.. فأنصَتوا. واستملى منه الحافظان المذكوران، فقال: «**حدّثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليّ بن أبي طالب، (رضي الله عنهم)، قال حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله، قال حدّثني جبريل، قال سمعتُ ربَّ العِزّة يقول: لا إله إلا الله حِصْني، فمن قالها دخل حِصْني، ومَن دخلَ حِصْني أَمِنَ من عذابي**».

ثمّ أرخى السِتر وسار، فَعُدَّ أهلُ المحابر والدّوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً.

وفي رواية أنّ الحديث المرويّ: «**الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللّسان، وعملٌ بالأركان**».

ولعلّهما واقعتان. قال أحمد: لو قرأت هذا الإسنادَ على مجنون لبرِئَ من جِنَّتِه ".." وتُوفّي رضي الله عنه وعمرُه خمس وخمسون سنة..

« الصواعق المحرقة »، ج 2، ص 594 -597 .

أخلاق الإمام الرضا عليه السلام

أحمد آقائي

لازم إبراهيم بن العبّاس الإمام الرضا عليه السلام مدّة طويلة، ونهل من نميره العذب، فقال في نهج الإمام عليه السلام: «ما رأيتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلمة قطّ، ولا رأيتُه قطع على أحد كلامَه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رِجله بين يدي جليس له قطّ، ولا اتّكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل، ولا رأيته يقهقه في ضحِكه قط».

ووصف ابن أبي عبّاد وزيرُ المأمون أسلوب حياة الإمام عليه السلام بقوله: «كان جلوس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير، وفي الشتاء على مسح، ولبسه الغليظ من الثياب، حتّى إذا برز للناس تزيّن لهم».

أخلاق الإمام عليه السلام في الروايات:

كان يرعى الفقراء كثيراً، و يبادر إلى التصدّق، لا سيّما في الليالي الحالكة وفي الخفاء. كان يجلس إلى المائدة مع مواليه، ويأكل معهم الطعام، و لا يميّز بين المماليك والأشراف، ولا بين الأقرباء والغرباء، إلا بالتقوى. كان مبتسماً وطلق المحيّا دائماً...

– يقسم أفضل طعامه للجائعين قبل التناول.
– يشترك في تشييع الجنائز.
– لا يدعو الغلام ما دام يتناول طعامه.
– لا يضحك عالياً ولا يقهقه أبداً.
– يرى قضاء حوائج المؤمنين وحلّ مشاكلهم مقدّماً على سائر الأعمال و كان يجلس على الحصير.
– يتلو القرآن كثيراً.
– لا يكسر قلب أحد بكلامه.
– لا يقطع كلام أحد أبداً.
– لا يردّ طالب حاجة وهو يقدر عليها قطّ و كان لا يمدّ رِجله بين يدي جلسائه.
– لا يعتمد على جدار ولا يتّكئ على وسادة بين يدي جلسائه دائماً وأبداً و كان لسانه لا يفتُر عن ذكر الله دائماً وأبداً.
– يحترز من الإسراف بشدة و يزوّد المسافر الذي نفد ماله أو ضاع من دون أن ينظر إليه.
– يثابر على إفطار الصائمين وكان يعود المرضى ولا يتفل في الطرق العامة.
– يُقري الضيف بنفسه.

– لا يأذن لأحد وهو جالس إلى المائدة، أن يقوم إجلالاً له.
– يُصغي بإمعان إلى كلام من يخاطبه ويسأله.
– يتطيّب بعرف للصلاة خاصة.
– يهتم بنظافة بدنه ولباسه، ولاسيّما شعر رأسه.
– يغسل يديه قبل الأكل ويجفّفهما، ويغسلهما بعد الأكل أيضاً، ثمّ يجفّفهما بمنديل و إذا حضر طعام كثير، لا يسكبه ولا يرميه أبداً.
– كان لا يأكل شيئاً وحده بين يدي جلسائه.
– يزيد في عطاء الأجير الذي يستأجره بأجر معين عند انتهاء عمله.
– يُقبل على الجميع بحنان وطلاقة.

لا ريب في أنّ ما ذُكِر ليس إلا سنبلة واحدة من بيدر الشخصية الأخلاقية لهذا الإمام العظيم.

أحمد آقائي، «الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام إمام الرأفة ومنهل المعرفة»، تعريب ناصر النجفي (بتصرّف)

المشهد الثقافي في عصر الإمام الرضا عليه السلام

غدير سليم*

كان الإمام الثامن كآبائه عليهم السلام مظهرَ علم الله تعالى، حتى لُقّب بلقب «عالم آل محمد» صلّى الله عليه وآله. روى أبو الصلت: «أنّ موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبَنِيه: هذا أخوكم عليّ بن موسى الرضا عالمُ آل محمّد، فسلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإنّي سمعت أبي جعفرَ بن محمّد غير مرّة يقول لي: إنّ عالِم آل محمّد لفي صُلبك، وليتني أدركتُه، فإنّه سميُّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام».

من هنا كان الإمام الرضا عليه السلام محطَّ أنظار الخاصّة والعامّة في المناقشات والمناظرات العلميّة التي دارت في المدن الإسلاميّة الكبرى: من «المدينة المنوّرة» إلى «بغداد»، و«البصرة» و«الكوفة»، وإلى «طوس» وغيرها من الحواضر الإسلاميّة.

وُلد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بالمدينة المنوّرة عام 153 هـ/ 770م وتُوفّي بطوس في بلاد خراسان عام 203 هـ/ 818 م بعدما أَشخصَه إليها المأمون إثرَ تولّيه الحكم عام 198هـ/ 813م.

كان العصر العباسيّ الذي عاش فيه الإمام علي الرضا عليه السلام، عصر اختلاط الثقافات إلى جانب تزاوج الأجناس وتعارف الأمم؛ إذ أتى كلّ قوم بعاداتهم وأفكارهم ومُعتقداتهم، وكانت كلّها بحاجة إلى تنقية ما شابها من أضاليل وانحراف قبل أن تصبّ في نهر الحضارة الإسلامية.

كما كان على المسلمين أن يبرهنوا على صحّة عقيدتهم أمام أهل المذاهب والمِلل غير الإسلامية، ولا سيّما أمام أهل الكتاب من يهود ونصارى، وأن يدحضوا أفكار المُلحدين، ويواجهوا هرطقة الزنادقة بقوّة الفكر وسلامة العقيدة.

من هنا كان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام محطّ أنظار الخاصّة والعامّة في المناقشات والمناظرات العلميّة التي دارت في المدن الإسلاميّة الكبرى: من «المدينة المنوّرة» إلى «بغداد»، و«البصرة» و«الكوفة»، وإلى «طوس» وغيرها من الحواضر الإسلاميّة.

عاش الإمام الرضا عليه السلام في عصر يُعدّ من أهم العصور الإسلاميّة على مستوى تطوّر الحياة الفكرية والثقافيّة في الحاضرة الإسلاميّة، فقد نشطت الحركة العلميّة والفكرية في عصر المأمون.

والمأمون، هو عبدالله بن هارون العباسيّ (170-218هـ=786-833م) سابع خلفاء بني العبّاس، وكان قد وُلّي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين عام 198هـ/ 813م. وقد نفذ حكمُه من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند. ويعدّه كتّاب التاريخ والسِير من الشخصيات القويّة في تاريخ الدولة العبّاسيّة، إذ كان يجمع بين مهابة السلطة وحبّ العلم، ويُسهب المؤرخون في الحديث عن الحركة العلميّة والثقافيّة في عصره، فهو من قرَّب العلماء والفقهاء والمحدِّثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب. وأطلقَ حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، لولا فتنة (خلق القرآن)، في السنة الاخيرة من حياته. واستطاع السيطرة على أمور الدولة بحكمة ودراية، وبسطَ سلطانه وقمعَ كلّ من ثار بوجهه.

جمع المأمون في بلاطه العلماء والأدباء والأطباء والمترجمين، ووسّع ما يُسمّى «بيت الحكمة» الذي أسسّه أبوه هارون. ويُروى أنّه كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، فكتب إليه يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدّخرة ببلاد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، فاختاروا ممّا وجدوه من المؤلفات، فنقلوا تلك الكتب إلى العربيّة. كما نُقلت إليه كُتب الفلسفة من جزيرة قبرص بعدما هادن صاحبَها، وقيل من القسطنطينية التي أرسل بعثة إليها لجلب الكتب اليونانية المختصّة بالطبّ والفلسفة.

وكان «بيت الحكمة» هذا، عبارة عن خزائن كتب، كلّ خزانة تجمع لوناً من العلم والمعرفة، من فلسفة وفلك وطبّ وعلوم الطبيعة ورياضيات وهندسة وغيرها.

وأشهر المترجمين في الثقافة اليونانية في ذلك العصر هم: يوحنّا

اهدايى هيأت بيت‌النور شهرستان بهشهر

بن ماسويه الذي عَنِيَ بتعريب كتب أرسطو، وحنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين، والحجّاج بن يوسف بن مطر الكوفيّ، وقسطا بن لوقا البعلبكي، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصيّ، وثابت بن قرّة. وقد عرّب هؤلاء أهمّ الكتب اليونانيّة في الفلسفة والعلوم، ككتاب «المقولات» لأرسطو، وكتب طيماوس و«السياسة المدنيّة» و«النواميس» لأفلاطون، و«الحِكم الذهبيّة» لفيثاغورس، وجملة مصنّفات أبقراط وجالينوس، وأُعيد تعريب كتاب المجسطي في الفلك و«الأصول في الهندسة» لأقليدس، وغير ذلك كثير.

وبالنسبة إلى الثقافة الفارسيّة في هذا العصر، فقد ازدهرت بفضل حركة الترجمة والتعريب، ولا سيّما بعدما انتقلت عاصمة الخلافة من الشام إلى العراق، وبعدما أُنشئ منصب الوزارة وأُسند في الأعمّ الغالب إلى رجال من ذوي أصول فارسيّة، وقد عقد ابن النديم في كتابه «الفهرست» فصلاً لأسماء النَقَلة من اللسان الفارسيّ إلى العربيّ كعبدالله بن المقفّع، وموسى ويوسف ابنَي خالد، وآل نوبخت وسواهم، فجرى تعريب كتب مهمّة تتعلّق بتاريخ الفُرس وآدابهم وحِكَمِهم وقصصهم ودياناتهم، ككتاب «كليلة ودمنة» و«الأدب الكبير» و«الأدب الصغير».

وكان للثقافة الهنديّة تأثير مهمّ في ثقافة ذلك العصر، وتحديداً في الإلهيات، والحساب، والرياضيات والنجوم، والآداب، وعن ذلك قال الراغب الأصفهاني في كتابه «محاضرات الأدباء»: إنّ الهند لهم معرفة بالحساب والخط الهنديّ، وأسرار الطبّ، وعلاج فاحش الأدواء، والرّقى وعلم الأوهام، وخرط التماثيل، ونحت الصور، وطبع السّيوف و....

وبقي المسلمون على احتكاك بالثقافة الهنديّة حتى عصور تالية، ويصف في كتابه الموسوم «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» الديانة الهندية وصفاً دقيقاً في القرن الرابع الهجري بعدما عاش هناك زمناً طويلاً.

أما الديانتان اليهوديّة والنصرانيّة، فقد بقي أتباعهما على معتقداتهم وطقوسهم، إلا من آمن منهم وأعلن إسلامه. وكان رؤساؤهم يتسلّحون بالمنطق اليوناني والفلسفة اليونانيّة في جدالهم ومناقشاتهم، فأحسّ المسلمون بأنّه لا بدّ من مُحاورتهم ومُحاججتهم بالسلاح نفسه، فعكفوا على المنطق والفلسفة لدعم حُجَجِهم وإثبات آرائهم في مناظراتهم مع أهل الكتاب.

وفي ما يختصّ بالعقيدة والفكر، فقد تجادل المسلمون في ما بينهم، فكانت مسائل الإمامة والخلافة، والجبر والتفويض، والقضاء والقدر، وغيرها موضع جدال ونقاش في أوساطهم الخاصة منها والعامة، وكانت كلّ فرقة تتّكىء في حجّتها على فهمها الخاص للآيات القرانيّة، والسنّة النبويّة، وعلى شروحات علمائها ومفكّريها.

موقع الإمام الرضا العلمي في عصره

ورث الإمام علي الرضا عليه السلام علم آبائه وأجداده المعصومين، وقد أوضح ذلك النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله حين قال لأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ الله قد فهّمك ما فهّمني، وبصّرك ما بصّرني، وأعطاك من العلم ما أعطاني إلا النبوّة، فإنّه لا نبيّ من بعدي، ثمّ كذلك إمام بعد إمام...»

ولقد حرص كلّ إمام أن ينقل مبلغ علمه إلى الإمام من بعده، ولا سيّما أن الإمام المعصوم مفطور على تلقّي العلوم واستيعابها على نحو واسع وشامل، ليكون حجّة على العباد؛ فقد جاء في حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام: «الله أعزّ وأجلّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبدٍ يحجُب عنه علم سمائه وأرضه»... ثمّ قال: «لا يحجب عنه».

وكان الإمام الرضا عليه السلام قد بلغ من الرِفعة والمكانة العظيمة شأناً بعيداً، وأُوتي من العلم مبلغاً أذهل القاصي والداني في عصرٍ احتدم فيه النقاش حول حقّ الإمام عليه السلام في تولّي الخلافة، وشهد انفتاحاً واسعاً على الثقافات التي أتت بها الأمم والأقوام الوافدة إلى الإسلام إثر الفتوحات، أو تلك التي احتكّ بها المسلمون في أثناء أسفارهم وتجاراتهم. وقد شهد هذا العصر فورة كبيرة في تعريب مؤلّفات تلك الأمم الفكريّة والعلميّة، كما أشرنا.

كان الإمام الرضا عليه السلام غزير العلم، واسع الاطلاع، لم يدع باباً من أبواب المعرفة إلا وطرقه، حتى قال اليقطيني: «لمّا اختلف النّاس في أمر أبي الحسن الرضا، جمعت من مسائله ممّا سُئل عنه وأجاب ثمانية عشر ألف مسألة».

وقد تطرّق عليه السلام إلى مشكلات عصره الفكريّة، وحاجّ الآخرين بقوة الفكر، وسِعة معرفته في شتّى ألوان العلوم والفنون، حتى قال فيه إبراهيم بن العبّاس: «ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء قطّ إلا عَلِمَه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب فيه».

وإذا كانت اللغة العربيّة هي اللغة الرسميّة للدين والدولة في الحاضرة الإسلامية في عصر الإمام عليه السلام، فإنّ اللغات الأخرى، من فارسيّة ويونانيّة وهنديّة وغيرها، كان لها حظّ من الوجود والتفاعل، فحركة الترجمة والتعريب ساعدت على استخدامها، كما أن كثيراً من رؤساء الأديان والمِلل كانوا يجيدون غير العربيّة، ويستخدمونها لقراءة كتبهم الدينية وتفسيرها وشرحها، وعادوا إلى كتب الفلسفة والمنطق والعلوم الأخرى بلغتها الأصليّة، خوفاً من سوء التعريب واجتهاد المترجمين عند شرحها، لأن كثيراً من المعاني استغلق على أولئك النقلة، فعرّبوها بحسب فهمهم إياها، فأضافوا على النصوص شروحات خاصة بهم، الأمر الذي جعل معاني تلك النصوص الأصليّة تختلط بشروحات المترجمين، كلٌّ على قدر فهمه وتقديره للمعاني الواردة في الكتب المُراد تعريبها. وكانت مُجمل الحوارات والنقاشات تدور باللغة العربيّة في

بلاطات الخلفاء ومجالس العلماء، إلاّ أنّ عدداً منها دار بغير العربيّة لمحاججة رؤساء الأديان والمِلل بلغتهم الأصليّة التي بها يفهمون كتبهم ويشرحون معتقداتهم، وأحياناً أخرى لمعرفة مدى سعة اطلاع المحاور وثقافته، وتحديداً إذا كان محطّ الأنظار كالإمام المعصوم.

كان الإمام الرضا عليه السلام يكلّم الناس بألسنتهم، وفي هذا روى أبو الصلت الهروي قائلاً: «كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم، وكان، والله، أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة، فقلت له يوماً: يا ابن رسول الله، إنّي لأَعجبُ من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها! فقال عليه السلام: يا أبا الصلت، أنا حُجّة الله على خلقه، وما كان الله ليتّخذ حجةً على قوم وهو لا يعرف لغاتهم، أَوَما بلغَكَ قولُ أمير المؤمنين عليه السلام: أُوتينا فصلَ الخطاب، فهل فصل الخطاب إلا فصل الخطاب؟!».

وكثيراً ما طالبه أهل الأديان والملل، بأن يحاورهم بلغاتهم الأصليّة في الجلسات التي عُقدت للبحث عن النبوّة والإمامة وغيرها من المسائل التي احتدم حولها النقاش، وكذا طالبه بعض المسلمين من المشكّكين بإمامته. ومن ذلك ما رُوي أنّ الإمام عليه السلام كان يوماً بالبصرة، فطلب من أحد أصحابه– الحسن بن محمّد– أن يُحضر بعضاً من شِيعته، كما يُحضر رئيس النصارى– كان يقال له جاثليق النصارى– ورئيس الطائفة اليهوديّة– رأس الجالوت– وغيرهم من أهل المِلل وأهل الكلام. ولمّا اجتمعوا قال لهم الرضا عليه السلام: «..إنما جمعتُكم لتسألوا عمّا شئتم من آثار النبوّة وعلامات الإمامة التي لا تجدونها إلا عندنا أهل البيت، فهلمّوا مسائلكم».

فقال عمرو بن هدّاب ـ وكان لا يحبّ أهل البيت أو يعترف بإمامتهم ـ: «أخبرنا عنك محمد بن الفضل أنك تعرف كلّ ما أنزله الله، وأنك تعرف كلّ لسان ولغة».

فقال الرضا عليه السلام: «صدَق محمد بن الفضل، فأنا أخبرته بذلك، فهلمّوا فاسألوا». قال: «نختبرك قبل كلّ شيء بالأَلسُن واللغات، وهذا روميّ، وهذا هنديّ وفارسيّ وتركيّ، فأحضرناهم». فقال عليه السلام: «فليتكلّموا بما أحبّوا، أُجِبْ كلّ واحدٍ منهم بلسانه إن شاء الله». فسأله عليه السلام كلٌّ واحد منهم مسألة بلسانه ولُغته، فأجابهم عمّا سألوا بألسنتهم ولغاتهم، فتحيّر الناس وتعجّبوا، وأقرّوا جميعاً بأنه أفصح منهم بلغاتهم.

ثمّ إنّه حاور الجاثليق ورأس الجالوت محاورة طويلة لا يتّسع المقام لسردها، وفي نهاية الحوار قال رأس الجالوت: «والله يا ابن محمد، لولا الرئاسة التي حصلت لي على جميع اليهود لآمنتُ بأحمد واتّبعت أمرَك، فوالله الذي أنزل التوراة على موسى والزبورَ على داود، ما رأيت أَقرأَ للتوراة والإنجيل والزبور منك، ولا رأيت أحسن تفسيراً وفصاحة لهذه الكتب منك».

ومرّة كان الإمام عليه السلام في الكوفة، فاجتمعت شيعته حوله، وبناء على طلبه، جمع أحد أصحابه رؤساء الملل والأديان وأهل الكلام ليحاورهم ويحاججهم على غرار ما فعله بالبصرة، وكان بين المجتمعين جاثليقٌ عُرف بالجدل وكثرة علومه وسِعة اطلاعه على الإنجيل، فاستطاع الإمام عليه السلام ردّ حُجَجه. ثمّ قال عليه السلام: «يا معاشر الناس، أليس أنصفُ الناس مَن حاجَّ خصمه بمِلّته وبكتابه، وبنبيّه وشريعته؟».

قالوا: نعم. قال الرضا عليه السلام: «فاعلموا أنه ليس بإمام بعد محمد صلّى الله عليه وآله إلا مَن قام بما قام به محمّد صلى الله عليه وآله حين يُفضي الأمر إليه، ولا يصلح للإمامة الا من حاجَّ الأمم بالبراهين للإمامة». فقال رأس الجالوت: «وما هذا الدليل على الإمام؟». فقال عليه السلام: «أن يكون عالماً بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن الحكيم، فيُحاجَّ أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل القرآن بقرآنهم، وأن يكون عالماً بجميع اللغات حتى لا يخفى عليه لسانٌ واحد، فيحاجَّ كلّ قوم بلغتهم، ثمّ يكون مع هذه الخصال تقيّاً، نقيّاً من كل دنس، طاهراً من كلّ عيب، عادلاً، منصفاً، حكيماً، رؤوفاً، رحيماً، غفوراً، عطوفاً، صادقاً، مشفقاً، باراً، أميناً، مأموناً، راتقاً، فاتقاً».

وقد ابتُلي الإمام الرضا عليه السلام بجماعة من شيعة أبيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام الذين وقفوا عنده، ورفضوا إمامة الرضا عليه السلام لأسباب واهية، كإنكارهم وفاة الكاظم عليه السلام وغيرها من الأسباب التي ذكرتْها كتبُ التاريخ والسِير.

إنّ عصر الإمام الرضا عليه السلام عصر غنيّ بما حفل من تطوّر على مستوى الحركة الفكريّة والثقافيّة وبما شهده من مناظرات ومناقشات أسهمت في بلورة حقيقة الإسلام في ذلك البحر المتلاطم من الأفكار والعقائد، كما أسهمت في بلورة وإثبات الإمامة في مجالس الخاصة والعامة. وقد ترك عليه السلام آثاراً علمية في الفقه والحديث والفلسفة والطب وغيرها، في ذلك العصر الزاخر بالعلوم والمعارف، منها ما ضاع، ومنها ما طُبع وحفظ في كبريات المكتبات الإسلامية في إيران والهند ومصر.

* باحثة من لبنان.

الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام

إعداد وتنسيق: محمد عبد الله

كان هارون العباسيّ في السنوات الأخيرة من عمره يطيل التفكير في دولة العباسيين وفي مستقبلها، ولهذا عيّن ابنه محمّد الأمين الذي لم يبلغ الخامسة من عمره بعد حاكماً من بعده، وذلك عام 175 هـ. وبعد سبع سنوات – أي عام 182 هـ – سعى إلى إرساء دعائم دولة بني العباس بتعيين عبدالله المأمون خلفاً. وفي عام 186 هـ قصد هارون بيت الله الحرام بصحبة أبنائه الأمين والمأمون والمؤتمن. وأنفذ هناك عهداً بحضور الشخصيات ورجال السياسة والقضاء والجيش وإمضاء ابنيه الأمين والمأمون، وعلّق نسخة منه على الجدار في جوف الكعبة. وأخذ منهما المواثيق في هذا العهد بعدما عيّنهما لتولّي الحكم واحداً تلو الآخر، وأن لا ينقضاه. وحينئذٍ أمر هارون بأن يُقرأ نصّ العهد على الحاضرين في الموسم، حتّى يشيع أمر ولاية الأمين والمأمون للحكم بين الناس قاطبة بعد عودة الحاجّ.

موت هارون وتبعات موته:

مات هارون عام 193 هـ، في طوس، وسرعان ما نشب النزاع بين الأخوين على السلطة. وكان الأب قد وسم سلطانه مراراً وتكراراً بشعار «المُلك عقيم»، وها هما ابناه يتّبعان هذا المنطق السياسيّ نفسه. وكانت بذرة الخلاف بين الأخوين تنشر سرّاً، ثمّ أفضى ذلك إلى اضطرام نار الحرب بينهما، وقُتل الأمين على أيدي رُسُل المأمون.

ولاية المأمون:

وُلد المأمون في الخامس عشر من ربيع الأوّل سنة 170 هـ، وكانت أمّه جارية من جواري هارون، تدعى «مراجل» من أهل «بادغيس». وتولّى خلال حكم أخيه الأمين القسم الشرقيّ من البلاد الإسلاميّة، بيد أنّ سلطته الواسعة بدأت عقب مقتل أخيه الأمين عام 198 هـ. وعلى ذلك لو عُدّت فترة حكومته لشرق البلاد الإسلامية في ذلك التاريخ أيضاً، لبلغت مدّةُ تسنّمه عرش الحكم عشرين عاماً.

المأمون ومصاعب الحكم:

لم يستطع المأمون أن يأخذ البيعة من أهل بغداد والكوفة، كما أنّه ما حظي برضا أهل المدينة ومكة والبصرة أيضاً، إذ لو كان أهل البلاد الإسلامية من الشيعة والعلويّين، فإنهم لم ينسجموا مع بني العبّاس، ولو كانوا من العباسيين، فإنهم يعدّون قتل الأمين خطيئة لا يمكن تبريرها.

والصعوبة الثانية التي واجهها المأمون هي الاضطرابات التي وقعت في أقطار البلاد الإسلامية وآفاقها، ولاسيّما بعض الثورات ذات التأثير والشمول.

أما الصعوبة الثالثة الكبيرة التي أقلقته دائماً فهي الشخصيّة الوجيهة لدى الناس، والمتميّزة، أي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. ولذلك فكّر في حلّ المشاكل دفعة واحدة بخطّةٍ هذه عناوينها:

1– أن يكون الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قريباً منه ليُحكم مراقبته، بدلاً من أن يبقى في دائرة رقابة ضعيفة وفي محطّ أنظار العالم الإسلامي، أي مدينة الرّسول صلى الله عليه وآله.

2– الإستفادة من زخم شعبية الإمام، لتدعيم شعبية النظام.

3– الإستفادة من علم الإمام لتقوية البُنية العلمية التي يرتكز عليها النظام.

وقد نفّذ المأمون تبعاً لذلك خططاً مختلفة واجهها الإمام عليه السلام بما لا يُحقّقُ للأخير هدفه، ويحقّق أفضل خدمة لنشر الإسلام والمحافظة على حدود الله تعالى.

مناظرات الإمام عليه السلام، وندم المأمون:

دعت السلطة العباسية، لمآرب خاصة، علماء المذاهب والفرق المختلفة، وجعلتهم في مجابهة الإمام عليه السلام، عسى أن يعجز في هذه الجلسات عن الإجابة مرّة واحدة مكرهاً! ومهما كان هدف المأمون، فإنّ نتائج هذه المناظرات أصبحت سبباً لعَظَمة الإمام عليه السلام ومكسباً علمياً وعقائدياً للشيعة.

عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهرويّ – الذي كان حاضراً في أكثر الجلسات والمناظرات – قال: «ما رأيتُ أعلمَ من عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادته، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم، حتّى ما بقي أحد منهم إلاّ أقرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور».

وتتحدث المصادر عن ندم المأمون في موارد عديدة في ما يرتبط بفشل خطته لاحتواء الإمام الرضا عليه السلام، وأنّ الإمام استطاع أن يحقّق الأهداف المغايرة تماماً لأهدافه من «ولاية العهد».

ومن أبرز موارد ندم المأمون ندمه على إفساح المجال لهذه المناظرات الرسمية التي جعلت علماء البلاط وغيرهم، بل سائر علماء الأديان في ذلك العصر، يُذعنون بفرادة علم الإمام الرضا عليه السلام.

الرَّكب الرضويّ من المدينة إلى مَرْو

إعداد وتنسيق: أسرة التحرير

الرحيل

بعدما قضى المأمون على سلطة أخيه الأمين في بغداد واستوى الأمر له، كتب إلى الإمام الرضا عليه السّلام ليستقدمه إلى خراسان، فاعتذر عليه الإمام بأعذار. فلم يَزَل المأمون يكاتبه في ذلك حتّى علم الإمام أنّه لا محيص له، وأنّ المأمون لا يكفّ عنه.. فخرج، وكان ذلك سنة 200 هـ. حينها بعث المأمون برجاء بن أبي الضحّاك إلى الإمام الرضا عليه السّلام لإشخاصه، وقد كتب إليه أن لا يسير على طريق الجبل وقمّ، وأن يسير على طريق البصرة والأهواز وفارس.

أجل.. كان المأمون يخشى أن يمرّ الإمام عليه السلام على المناطق الشيعيّة العلويّة، كالكوفة وقمّ، فتلك مدن حسّاسة، ربما يخرج أهلها فيستقبلون سيّدهم الرضا عليه السّلام استقبال الفاتحين، معبّرين عن اعتقادهم بأنّه الخليفة الشرعيّ، وعن ولائهم المُعرب عن التضحية دونه، وربّما استوقفوا الركب متسائلين: ماذا وراء هذا الاستدعاء؟!

غُصَص الوداع

يرد البريد بإشخاص الإمام عليّ بن موسى عليهما السّلام إلى خراسان، فيدخل المسجد النبويّ ليودّع جدَّه رسولَ الله صلّى الله عليه وآله. وما أمَرَّ وداع الحبيب، والنسيب! ويكرّر الإمام عليه السّلام الوداعَ، ثمّ لا يطيق فراق جدّه صلّى الله عليه وآله، فيعود إلى القبر، ويريد أن يخرج فلا يجد قدماه إلا وهما تحملانه مرّة أُخرى إلى ذلك الضريح الأقدس، ثمّ لا يجد نفسه إلا وقد علا صوته بالبكاء والنحيب. "..".

ويومَ يُراد بالرضا عليه السّلام رحيلٌ لا عودة بعده.. يكون الوداع مع الولد الأعزّ ومهجة الفؤاد، الإمام محمّد الجواد عليه السلام، آخذاً بمجامع القلب.

يصوّر لنا أُميّة بن عليّ ذلك المشهدَ الحزين فيقول: «كنت مع أبي الحسن (الرضا) عليه السّلام بمكّة في السنة التي حَجّ فيها ثمّ صار إلى خراسان ومعه ابنه أبو جعفر الجواد عليه السّلام، وأبو الحسن عليه السّلام يودّع البيت (الكعبة المشرَّفة). فلمّا قضى طوافه عَدَل إلى المقام فصلّى عنده، فصار أبو جعفر على عُنق مُوفَّق (الخادم) يطوف به، فلمّا صار إلى الحِجْر جلس فيه فأطال، فقال له موفَّق: قُمْ جُعِلت فداك، فقال أبو جعفر: ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله. واستبان في وجهه الغمّ، فأتى موفّقٌ أبا الحسن الرضا عليه السّلام فقال: جُعلت فداك، قد جلس أبو جعفر في الحِجر وهو يأبى أن يقوم. فقام أبو الحسن فأتى أبا جعفر عليه السّلام فقال له: قم يا حبيبي، فقال: ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا، قال: بلى يا حبيبي. ثمّ قال الجواد [وعمره المبارك في حدود السنة الرابعة]: كيف أقوم وقد ودّعتَ البيتَ وداعاً لا ترجع إليه؟! فقال: قم يا حبيبي! فقام معه».

مراحل الطريق

ثبت تاريخيّاً أنّ المأمون وجّه دعوتين، كلتاهما تؤكّد على أن لا يكون طريق الإمام عليّ الرضا عليه السّلام على الكوفة ولا على قم: الأولى: أمر مبعوثه الخاصّ لاستدعاء الإمام عليه السّلام، وهو رجاء بن أبي الضحّاك، أن يجعل طريقه: البصرة ـ الأهواز ـ فارس.. وحذّره كثيراً من المرور على طريق: الكوفة ـ بلاد الجبل ـ قمّ.

الثانية: عن طريق رسالة بعثها المأمون إلى الإمام الرضا عليه السّلام جاء فيها: «لا تأخذ على طريق الكوفة وقمّ». قال الراوي، وهو ياسر الخادم: «فحُمل [الإمام عليه السّلام] على طريق البصرة والأهواز وفارس.. حتّى وافى "مَرو"»، وفي رواية أُخرى: «لا تأخُذ على طريق الجبل وقمّ، وخذ على طريق البصرة فالأهواز ففارس». وهذا ما أكّده الجعفريّ أبو هاشم ـ أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السّلام ـ حيث قال: «لمّا بعث المأمون رجاءَ بن أبي الضحّاك لحَمل أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام على طريق الأهواز، لم يمرَّ على طريق الكوفة، "..." وكنت بالشرقيّ من "آبيدج" (موضع)، فلمّا سمعتُ به سِرت إليه بالأهواز».

أمّا علّة التأكيد على هذا الأمر فنتركها للقطب الراوندي حيث يقول: «إنّ المأمون أمرَ رجاء بن أبي الضحّاك أن لا يمرّ بالإمام على طريق الكوفة؛ لئلاّ يُفتتَنَ به أهلها.. ذلك أنّ أهل الكوفة كانوا من شيعة أهل البيت عليهم السّلام، وكان المأمون يُعرب عن مخاوفه منهم ويقابل وفدهم بالغِلظة والجفاء». إذن.. كان المسير من البصرة إلى: الأهواز وهو بلدٌ معروف بـ «خوزستان»، كان يُسمّى في ذلك العصر بـ «سُوق الأهواز»، والجغرافيون في ذلك الوقت كانوا قد بيّنوا أنّ الطريق من ديار العرب إلى خوزستان له خطّان: الأوّل: من بغداد، إلى واسط، ومن واسط إلى خوزستان. الثاني: من البصرة إلى خوزستان، ويمرّ على سبعة منازل:

1 ـ من البصرة إلى « الأبُلّة » أربعة فراسخ .
2 ـ من« الأبُلّة » إلى « البيان » خمسة فراسخ .
3 ـ من « البيان » إلى « حصن المهديّ » ستة فراسخ .
4 ـ إلى « سوق الأربعاء » أربعة فراسخ .
5 ـ إلى « المحول » ستة فراسخ .
6 ـ إلى « الدولاب » ثمانية فراسخ .
7 ـ إلى « سوق الأهواز » فرسخان .

وهناك مَن يرى الطريق إلى خوزستان هكذا : الأبلّة ـ البيان ـ حصن المهديّ ـ باستيان ـ خان مزدَوَيه ـ الدَّورَق ـ قرية الدير ـ الآسك ـ أرجّان .

وإذا علمنا أن الإمام الرضا عليه السّلام قد كانت هجرته سنة 200 هـ، وأنّ قدامة بن جعفر كتب كتابه « الخراج » سنة 266 هـ، نكون قد استبعدنا أن تكون هذه المنطقة قد طرأت عليها تغييرات جغرافيّة مهمّة من شأنها أن تبدّل خريطة المنازل ومواقعها . هذا، مع أنّنا لم نعثر على أخبار تُوقفنا على جزئيّات المسير الذي سلكه الإمام الرضا عليه السّلام من البصرة إلى خوزستان أو الأهواز، وإنّما الذي وصل إلينا هو بعض الروايات التي تذكر لقاءات بعض الأصحاب به بعد وصوله سلام الله عليه إلى تلك المنطقة، وهي :

● عن أبي الحسن الصائغ عن عمّه قال : « خرجت مع الرضا عليه السّلام إلى خراسان أؤامره في قتل رجاء بن أبي الضحّاك الذي حمله إلى خراسان، فنهاني عن ذلك وقال : أتريد أن تقتل نَفْساً مؤمنةً بنفس كافرة؟!

قال : فلمّا صار إلى الأهواز " .. " إلى أن قال : فلمّا صار إلى " قرية " سمعته يقول في سجوده : لك الحمدُ أن أطعتُك، ولا حجّةَ لي إن عصيتُك، ولا صنعَ لي ولا لغيري في إحسانك، ولا عذر لي إن أسأتُ . ما أصابني مِن حسنةٍ فمنك، يا كريم، اغفِر لِمَن في مشارق الأرض ومغاربها من المؤمنين والمؤمنات » .

● وروى أبو هاشم الجعفريّ قال : « كنت بالشرقيّ من آبيدج فلمّا سمعتُ سرتُ إليه [أي إلى الرضا عليه السّلام] بالأهواز، وانتسبتُ له، وكان أوّل لقائي له، وكان مريضاً، وكان زمن القيظ، فقال : إبغني طبيباً . فأتيته بطبيب » .

ويمضي الرَّحل . . فيبلغ قنطرة أَربُق، وهي قرية في « رامْهُرمُز » من نواحي خوزستان، وقد شخّصت هذه القريةُ البوّابةَ التي خرج منها الإمام الرضا عليه السّلام من الأهواز متّجهاً إلى بلاد فارس .

والرواية الوحيدة المنقولة في هذه القنطرة هي التي يرويها جعفر بن محمّد النوفليّ قائلاً : « أتيتُ الرضا وهو بـ " قنطرة أربُق " فسلّمت عليه وقلت : جُعلت فداك، إنّ أُناساً يزعمون أنّ أباك حيّ، فقال : كذِبوا لعنهم الله، ولو كان حيّاً ما قُسّم ميراثه، " .. " ولكنّه ـ واللهِ ـ ذاق الموتَ كما ذاقه عليّ بن أبي طالب عليه السّلام . قال : فقلت له : ما تأمرني؟ قال : عليك بابني محمّدٍ من بعدي، وأمّا أنا . . فإنّي ذاهب في وجه الأرض لا أرجع منه . بُورك قبرٌ بطوس، وقبرانِ ببغداد!

قال : قلت : جُعلت فداك، قد عرفنا واحداً، فما الثاني؟ قال : ستعرفونه . ثمّ قال عليه السّلام : قبري وقبر هارون الرشيد هكذا . . وضمّ بإصبعَيه » .

أنظر : موقع « الإمام الرضا » عليه السلام www.imamreza.net

من مناظرات الامام الرضا عليه السلام

عاش الإمام الرضا عليه السلام في عصرٍ ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية، وكَثُرت الترجمة لكتب اليونانيّين والرومانيّين وغيرهم، وازداد التشكيك في الأصول والعقائد من قِبل الملاحدة وأحبار اليهود وبطارقة النصارى، ومُجَسِّمة أهل الحديث .

وفي تلك الأزمنة، أُتيحت له عليه السلام فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانُه وعلا شأنُه، يقف على ذلك من اطّلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء .

ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته، نذكر مناظرته في إبطال رؤية الله تعالى بالبصر : دخل أبو قرّة المحدّث على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقال : « روينا أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيَّين، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمّد ﷺ الرؤية » .

فقال أبو الحسن عليه السلام : « فمَن المُبَلِّغ عن الله إلى الثقلين الجِنّ والإنس إنّه ﴿ لا تُدركه الأبصار . . ﴾ الأنعام:103، و﴿ . . ولا يحيطون به علماً ﴾ طه:110، و ﴿ . . ليس كمثله شيء . . ﴾ الشورى:11، أليس محمّدٌ صلّى الله عليه وآله؟ » .

قال : « بلى » .

قال عليه السلام : « كيف يجيىء رجلٌ إلى الخلق جميعاً فيُخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول : ﴿ لا تدركه الأبصار . . ﴾ الأنعام:103، و﴿ . . ولا يحيطون به علماً ﴾ طه:110، و﴿ . . ليس كمثله شيء . . ﴾ الشورى:11، ثمّ يقول : أنا رأيته بعيني وأحطتُ به علماً، وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا : أن يكون آتياً عن الله بأمر، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر » .

فقال أبو قرة : فإنه يقول : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ النجم:13 .

فقال أبو الحسن عليه السلام : « إن بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ النجم:11، يقول : ما كذب فؤاد محمّد ﷺ ما رأتْ عيناه، ثمّ أخبر بما رأى، فقال : ﴿ لقد رأى من آيات ربّه الكبرى ﴾ النجم:18، فآياتُ الله غيرُ الله، وقال : ﴿ . . ولا يحيطون به علماً ﴾ طه:110، فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العِلم ووقعت المعرفة » .

فقال أبو قرّة : « فتكذّب بالرواية؟ » .

فقال أبو الحسن : « إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه : إنه لا يُحاط به علماً، ولا تُدركه الأبصار، وليس كمثله شيء » .

من ملابسات «ولايــة العهد»

تقديم: أسرة التحرير

كانت مدينة «مَرْو» أكبر مدن خراسان، وكانت تُعرف بـ «مرو العظمى»، وقد اتخذها العباسيون عاصمة للإمبراطورية العباسية، في الوقت الذي انتشرت فيه رقعة هذه الدولة الإسلامية ـ بالإسم ـ وتوسعت إلى حدٍّ مَكّن هارون المُسمّى بالرشيد أن يخاطب الغيمة قائلاً: «شَرِّقي أو غَرِّبي فأينما تمطرين فخراجك لي»!

ولقد كان هاجس العباسيّين منذ بداية أمرهم، محاصرة الأئمة من «أهل البيت» عليهم السلام، والتضييق عليهم وقتلِهم، والسبب أن أفئدة الناس تهوي إلى أهل البيت، فهم الإمتداد الشرعي لرسول الله ﷺ، ولن يتمكن العباسيون كما ـ الأمويون من قبل ـ من انتزاع اعتراف من أهل البيت بشرعية تسلّطهم على رقاب المسلمين.

كان العباسيون من أَعرفِ الناس بعظيم منزلة أئمة المسلمين من أهل البيت عليهم السلام، فقد تسلّق العباسيون الحكم باسمهم من خلال الدعوة إلى «الرضا من آل محمد»، أي إلى من يُرتضى منهم عليهم السلام.

ولا يكاد يسجّل التاريخ خوف حاكم من إمام يضاهي ـ ولو من بعيد ـ خوف سلاطين العباسيين من أئمة أهل البيت الذين عاصرهم هؤلاء السلاطين.

من تعابير خوف المنصور الدوانيقي من الإمام الصادق عليه السلام، قول المنصور: «هذا الشجا المعترض في حلقي، من أعلم الناس».

ومن تعابير خوف هارون المسمى بالرشيد من الإمام الكاظم عليه السلام، عندما أصر على الإمام أن يبيّن حدود فدك، فتغيّر وجه الرشيد، ثم ازْبَدّ، ثم اسودَّ، وقال للإمام الكاظم: «فلم يبق لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي». قال عليه السلام: «قد أعلمتُك أنّي إنْ حدّدتُها لك لم ترُدَّها».

وفي خطى المنصور وهارون سار المأمون، رغم أنه لم يصل إلى الحكم بقرار عباسي، وهو ما ينبغي أن يُلحظ لدى تتبّع عوامل الإختلاف الظاهري في تعامل المأمون مع الإمام الرضا عليه السلام. وللتأكيد: التعامل الظاهري لا غير.

استدعت أسباب عديدة إصرار المأمون ابن هارون على انتقال الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو.

أبرز تلك العوامل والأسباب:

* عظيم امتداد شعبية الإمام الرضا عليه السلام في العالم الإسلامي عموماً، وفي خراسان وما والاها خصوصاً، وتكشف مجريات رحلة الإمام إلى مرو أن هذه الشعبية فاقت كلّ تصوّر. (أنظر: «ثامن أئمة المسلمين» من هذا الملف).

* إصرار أكثر العباسيين على تبنّي الأمين بدلاً عن أخيه المأمون. الأمر الذي حتّمَ على المأمون الإستقواء بقادة المعارضة وزخمها الجماهيري، ريثما يتمكّن من لملمة فلول إدارة النظام السابق ـ أيام أبيه ـ والتي تبنّت أخاه ضده، وإعادة تنظيم هذه الإدارة لمصلحة استمرار الإمبراطورية العباسية.

نموذج من العُملة التي صُكّت باسم الإمام الرضا إبّان "ولاية العهد"

* حاجة الإمبراطورية العباسية التي تحكم باسم الإسلام إلى الإستناد إلى قاعدة علمية مقتدرة، لمواجهة سيل الغزو الثقافي العرم، الذي كان يشكّل تهديداً جدياً للنظام.

ولم يكن شيء من تفاصيل خطط المأمون وإدارة الملك العقيم من دهاقنة العباسيين، خافياً على ثامن أئمة المسلمين الذي رسم الله تعالى له خطة عمله، وأظهره على غيبه، لأنه عليه السلام ممّن ارتضى سبحانه. فالله تعالى أحكم من أن يُولّي عبداً من عباده ـ نبيّاً أو وصيّ نبيّ ـ إدارة الدنيا ثم يحجب عنه خطط الشيطان وأوليائه التي تتلخّص مهمة الوليّ بمواجهتها لإعلاء كلمة الله تعالى.

ولم تكن مصلحة الإسلام، وبالتالي لم يكن تكليف الله تعالى للإمام في المواجهة، ولو كانت المواجهة إصراراً في الإمتناع عن السفر إلى مرو، والإمتناع عن القبول الظاهري لولاية العهد.

كان أمر الله تعالى للإمام الرضا هو الذي تمّ بيانه – بالإضافة إلى بيانات عديدة ـ في اللّوح الأخضر الذي رآه الصحابي الظاهرة جابر بن عبد الله الأنصاري في يد الصدّيقة الكبرى الزهراء عليها السلام، وفي التعليمات المُفسِّرة لنص اللّوح ـ وإن لم تُقدّم بعنوان تفسيره ـ المرويّة عن رسول الله، أو التي تلقاها الأئمة منه ﷺ.

وقد عمل الإمام الرضا بما حدد الله تعالى له، فاستطاع بحول الله تعالى أن يحقّق أعظم النتائج التي مكّنت من حفظ

استمرار خط الإمامة وتجاوز عقبة «الواقفة» الذين وقفوا على إمامة أبيه الإمام الكاظم عليهما السلام. كما استطاع عليه السلام تحقيق الأهداف التالية:

* تثبيت استمرار الإسلام، من خلال مناظراته العلمية النوعية والتاريخية، سواء الرسمية منها التي عُقدت بدعوة النظام وحشدِه، أم تلك التي جرت في الحواضر الإسلامية المختلفة، والتي قدّمت للأمّة الأدلة المُحكمة في مواجهة شُبهات الملحدين، وأتباع الأديان الأخرى، بالإضافة إلى شُبهات الإتجاهات المختلفة داخل الإطار الإسلامي العام.

* تثبيت علاقة الأمّة بأهل البيت عليهم السلام باعتبار العلاقة بهم جزءاً من المعتقد، وأن اتّباعَ رسول الله ﷺ يتوقف على اتّباعهم عليهم السلام.

* مخاطبة الأجيال اللاحقة عبر الوثائق الكبرى الخالدة التي صدرت عنه في فترة «ولاية العهد»، أي خلال وجوده عليه السلام في عاصمة الدولة– القطب الأوحد في ذلك العصر. والمُراد بالوثائق الكبرى، مثل: حديث سلسلة الذهب، وقصيدة دعبل الخزاعي ،وما قاله عند إنشاد دعبل تائيّته الشهيرة، وغير ذلك كثير يُمكن الإطلاع على بعضه مثلاً في الكتاب القيّم الذي ألّفه الشيخ الصدوق عليه الرحمة: «عيون أخبار الرضا».

* التأسيس لإنجاز الأئمة من بعده عليهم السلام جميعاً مهامهم الإلهية في ظروف أفضل رغم قسوتها. وكان كلّ إمام من بعد الإمام الرضا يعرف بـ«ابن الرضا».

وما يدل بوضوح على أن الإمام الرضا عليه السلام كان يخطط بأمر الله تعالى للحاضر والمستقبل، أحاديثُه المتكرّرة عن الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام، وهذا نموذج من تلك الأحاديث الرضويّة:

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقيّة**».

فقيل له: «يا ابن رسول الله إلى متى»؟

قال: «**إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا**».

قيل له: «يا ابن رسول الله، ومَن القائم منكم أهل البيت»؟

قال: «**الرابع من ولدي، ابنُ سيّدة الإماء، يُطهّر الله به الأرض من كلّ جَور، ويقدّسها من كلّ ظلم، وهو الذي يشكّ الناس في ولادته، وهو صاحب الغَيبة قبل خروجه، فإذا خرج أشرقت الأرضُ بنوره، يضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحدُ أحداً، وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظلّ، وهو الذي يُنادي منادٍ من السماء يسمعُه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه: ألا إنّ حجّةَ الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه، فإنّ الحقّ معه وفيه، وهو قول الله عزّ وجلّ**: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الشعراء:4».

مدينة مشهد المقدّسة.. جوهرة في قلب التاريخ

يُعدّ المشهد الرضويّ المبارك أوّل مزار في إيران، ولا شكّ أنّه من المشاهد الإسلاميّة المقدّسة التي يُجلّها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها. وتُعتبر مدينة مشهد إلى حدٍّ ما وريثةَ «طوس» التي كانت موجودة منذ ما قبل الإسلام، والتي كثيراً ما يُعبّر بها عن المدينة (مشهد المقدّسة). وقديماً، كان قبر الإمام الرضا عليه السّلام هو الذي جعل «سناباذ» أو (نُوقان) تشتهر في طول العالم وعرضه، فنمت وتوسّعت بمرور الزمن من قرية صغيرة إلى مدينة تُسمّى بـ«المشهد».. وهكذا يأتي التعبير عن المدينة الملتفّة حول القبر الرضويّ المقدّس بأسماء عديدة، فيقول الصاحب بن عبّاد.

يا سائراً زائراً إلى طوس — مشهدِ طُهْرٍ وأرضِ تقديسِ
أبلغْ سلامي الرضا وحُطَّ على — أكرمِ رمسٍ لخيرِ مرموسِ

ويقول آخر:

يا أرضَ طوسٍ سقاكِ اللهُ رحمتَه
ماذا ضَمِنتِ من الخيراتِ، يا طوسُ؟!
طابت بقاعُكِ في الدنيا وطابَ بها
شخصٌ ثوى بـ«سَناآبادَ» مَرموسُ

أمّا ابن حوقل.. فهو يطلق على الروضة الرضويّة المباركة نفسها كلمة «مشهد» فقط، بينما يسمّيها ياقوت الحمويّ في (معجم البلدان) «المشهد الرضويّ».

بدوره الرّحالة المغربي ابن بطوطة زار «طوس» ووجدها مدينة كبيرةً كثيرة السكّان، ولاحظ قبّةً كبيرة تعلو المرقد الرضويّ وهي مزيّنة بستائر من حرير وشمعدانات من ذهب. كما لاحظ ابن بطّوطة تحت القبّة مقابل ضريح الإمام الرضا عليه السّلام قبر هارون الرشيد يُركل بالأرجل، ثمّ يذهب الزائرون بعد ذلك إلى ضريح المولى عليّ الرضا سلام الله عليه ليتبرّكوا به.

ومن الغربيّين، ذكر المشهدَ الرضويّ الشريف: «فورشاير» الرحّالة الإنجليزيّ، في المجلّد الثاني من رحلته، وكان مرّ بالمشهد سنة 1783 م. و«ماكدونال كينير» في كتابه (جغرافية إيران). والرحّالة الإنجليزيّ «فيرو زور»، وقد مرّ بالمشهد في منتصف القرن التاسع عشر الميلاديّ. والمتجوّل «هانوي» في رحلته إلى بلاد الروس وإيران سنة 1743 م، وقد تمكّن من الدخول إلى المشهد الطاهر نفسه، وأفاض الكتابة في تاريخه القديم والحديث، حتّى أورد فصولاً شائقة عن البلدة، محصياً مدارسها وعدد طلاّبها، وذاكراً أوقافها وأجناسها.. إلى غير ذلك.

و«المسيو كنولي»، وكان مرّ بالمشهد المبارك مجتازاً إلى الهند عام 1823 م... وغيرهم كثير.

شهادة الإمام الرضا عليه السلام

تنسيق: حسن علي

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «يخرج رجلٌ من ولد ابني موسى، اسمه اسم أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أرض طوس، وهي بخراسان، يُقتل فيها بالسمّ، فيُدفن فيها غريباً».

في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام جاء فيها: «والله ما منّا إلاّ مقتول شهيد». فقيل له: «ومَن يقتلك يا ابن رسول الله»؟

قال: «**شرّ خلق الله في زماني، يقتلني بالسمّ**».

عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، قال: «سألت أبا الصلت الهرويّ، فقلت: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام، مع إكرامه ومحبّته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟».

فقال: «إنّ المأمون كان يكرمه ويحبّه لمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده ليُري الناس أنّه راغبٌ في الدنيا، فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلاّ ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلّمين من البلدان طمعاً من أن يقطعه واحدٌ منهم، فيسقط محلّه عند العلماء، وبسببهم يشتهر نقصه عند العامّة.

فكان لا يكلّمه خصمٌ من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهريّة، ولا خصمٌ من فِرق المسلمين المخالفين له، إلاّ قطعه وألزمه الحجّة.

وكان النّاس يقولون: والله إنّه أولى بالخلافة من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه، فيغتاظ من ذلك ويشتدّ حسده.

وكان الرضا عليه السلام لا يُحابي المأمون في حق، وكان يُجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك، ويحقد عليه، ولا يُظهره له، فلمّا أعيته الحيلة في أمره اغتاله، فقتله بالسّم».

وفي رواية مبسوطة أوردها الشيخ الصدوق في «الأمالي»: قال الإمام الرضا عليه السلام: «**يا أبا الصلت، غداً أدخل إلى هذا الفاجر، فإنْ أنا خرجتُ وأنا مكشوف الرأس فتكلّم أكلّمك، وإن خرجتُ وأنا مُغطّى الرأس فلا تُكلّمني**».

قال أبو الصلت: فلمّا أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس في محرابه ينتظر، فبينا هو كذلك، إذ دخل عليه غلام المأمون، فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله ورداءه وقام يمشي وأنا أتبعُه، حتى دخل على المأمون وبين يديه طَبَقٌ عليه عنب، وأطباق فاكهة بين يديه، وبيده عنقود عنب قد أُكل بعضُه وبقي بعضه، فلمّا أبصر بالرضا صلوات الله عليه، وثبَ إليه وعانقه، وقبّل ما بين عينيه، وأجلسَه معه، ثم ناوله العنقود "..." فقال له: كُلْ منه. فقال له الرضا عليه السلام: أَوَ تعفيني منه؟ فقال: لا بدّ من ذلك، ما يمنعُك منه؟ لعلّك تتّهمنا بشيء؟ فتناول العنقود فأكل منه، ثمّ ناوله فأكل منه الرضا عليه السلام ثلاث حبّات، ثمّ رمى به وقام، فقال له المأمون: إلى أين؟ قال: **إلى حيثُ وجّهتني**.

وخرج عليه السلام مُغطّى الرأس، فلم أُكلّمه حتى دخل الدار، فأمر أن يُغلق الباب فأُغلق، ثمّ نام على فراشه، فمكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً، فبينا أنا كذلك إذ دخل عليَّ شاب حَسَنُ الوجه قَطَطُ الشعر [أجعد] أشبهُ الناس بالرضا عليه السلام، فبادرتُ إليه فقلت له: من أين دخلت والباب مُغلق؟ فقال لي: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت، هو الذي أدخلني الدار والباب مُغلق. فقلتُ له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حُجّة الله عليك يا أبا الصلت، أنا محمد بن عليّ. ثمّ مضى نحو أبيه عليهما السلام، فدخل وأمرني بالدخول معه، فلمّا نظر إليه الرضا عليه السلام، وثبَ إليه وعانقه وضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، ثم سحبه سحباً إلى فراشه، وأكبَّ عليه محمد بن عليّ عليهما السلام، يقبّله ويسارّه بشيء لم أفهمه، "..." ومضى الرّضا عليه السلام. [فارقت روحه الدنيا].

فقال أبو جعفر [الإمام الجواد] عليه السلام: **قم يا أبا الصلت فأتِني بالمغتسل والماء من الخزانة**، فقلت: ما في الخزانة مُغتسل ولا ماء! فقال: **ائتمرْ بما آمرُك به**.

فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء، فأخرجته وشمّرت ثيابي لأغسله معه، فقال لي: تنحَّ يا أبا الصلت، فإنّ لي من يُعينني غيرُك، فغسلّه، ثم قال لي: **أدخل الخزانة فأخرج إليّ السفط الذي فيه كفنُه وحنوطُه**، فدخلت فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة، فحملتُه إليه، فكفّنه وصلّى عليه، ثم قال: **أئتني بالتابوت**. فقلت: أمضي إلى النجار حتى يصلح تابوتاً؟ قال: **قُم، فإنّ في الخزانة تابوتاً**، فدخلت الخزانة فإذا تابوت لم أره قط، فأتيتُه به، فأخذ الرضا عليه السلام، بعد أن كان صلّى عليه، فوضعه في التابوت وصفّ قدميه، وصلّى ركعتين لم يفرغ منهما حتى علا التابوت وانشقّ السقف، فخرج منه التابوت ومضى. فقلت: يا ابن رسول الله، الساعة يجيئنا المأمون فيُطالبني بالرضا، فما أصنع؟

فقال: **اسكت، فإنّه سيعود. يا أبا الصلت، ما من نبيّ يموت في المشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلا جمع الله عزّ وجلّ بين أرواحهما وأجسادهما**، فما تمّ الحديث حتى انشقّ السقف ونزل التابوت، فقام عليه السلام، فاستخرج الرضا عليه السلام من التابوت، ووضعه على فراشه، كأنه لم يُغسّل ولم يُكفّن، وقال: **يا أبا الصلت، قم فافتح الباب للمأمون**. ففتحتُ الباب، فإذا المأمون والغلمان بالباب..».